الشعراء الخوارج والموت

الدكتور عزمي محمد شفيق
قسم اللغة العربية

من خلال دراسة التاريخ السياسي والحربى لحزب الخوارج ، ودراسة شعرهم ، تتبين أن لهم نظرتهم الفلسفية الشاملة والعميقة للموت • وترتبط هذه النظرة الفلسفية الخاصة ، بشكل اساسي ، بعقيدتهم الدينية وبمبدأ « الشراء » (١) بخاصة ، كما ترتبط أيضا بطبيعتهم البدوية وسلوكم العربى •

يتميز الخوارج بحبهم للموت ، والبحث عنه ، والتحسر عليه ، والتعطش اليه • وربما فرح الخارجى اذا ما طعن ، وكأن ذلك وعد بالخلود ، وبشارة بالجنة • طعن على بن ابى طالب مرة خارجيا ، وحين احس الاخير انه ميت لا محالة صاح : « حبذا الروحة الى الجنة » (٢). وهذه الطرفة ليست اقل غرابة من قصة ذلك الخارجى الذي طعن فلما أتهذه الرمح مشى الى طاعنه وهو يتلو : « وعجلت اليك ربّ لترضى » (٣) • في محاجة بين زرعة بن البرج وعلي بن ابي طالب قال على لزرعة : « كأنى بك قتيلا تسفى عليك الرياح » وكان جواب زرعة «أود لو كان ذلك» (٤) • وهناك ركام من الامثلة للتدليل على رغبة الخوارج الجامحة في الموت • وربما يكون من المفيد ان نذكر هنا قصة حوثرة ، القائد الخارجي الذي جاءه أبوه الى المعركة حاملا حفيده (ابن حوثرة) ليغريه بالعودة والرجوع عن مبدأ الخوارج •

قال الجد لابنه حوثرة : « أي بني اجيئك بابنك لعلك تراه فتحن اليه » . فردّ حوثرة عليه : (يا أبت ، أنا والله الى طعنة نافذة اتقلب فيها فيها على كعب الرمح أشوق مني الى ابني » [٥] .

يميز « الموت » شجاعة الخوارج المخلوطة بالتقى العميق ، اذ كانوا يهتبلون اية فرصة للقتال مهما يكن السبب [٦] ، ولم يكن لديهم شيء احب من القتال ، فهو الفرصة المحببة للقاء الموت . يقول الشاعر فطري بن الفجاءة يصور هذا الحب :

أغادي جلاد المعلمين كأنني
على العسل الماذيّ أصبح غاديا
اذا استلب الخوف الرجال قلوبهم
حبسنا على الموت النفوس الغواليا [٧]

وكان القائد عبد ربه الصغير يوصي اتباعه في الحرب قائلا . « القوا عدوكم غدا فان غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت » [٨] . وينوه المبرد بهذه الميزة عند الخوارج فيقول : « وأكثرهم لم يكن يبالي بالقتل وشيمتهم استعذاب الموت » [٩] . ويقول أيضا : « وكان في جملة الخوارج لدد واحتجاج على كثرة خطبائهم وشعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين انفسهم على الموت » [١٠] .

شعر الخوارج بجملته يصور بدقة هذا الاندفاع الغريب نحو الموت والتكالب لتحقيق الرغبة فيه . هذا عمرو بن الحصين يصور في احدى مراثيه اندفاعهم نحو الموت وحبهم له ، فيقول :

لاشيء يلقاه أسرّ له
من طعنة في ثغرة النحر [١١]

واستعذاب الموت ، على هذا النحو ، نغمة تسيطر على القصيد الخارجي . عمران بن حطان ، قائد الصفرية وفقيههم ، مثلا ، يرثي بعض رفاقه من الخوارج فيصف طربهم للموت وطيب انفسهم به بما يلي :

واخوة لهم طابت نفوسهم
بالموت عند التفاف الناس بالناس (١٢)

ويصف شاعر خارجي آخر احساسه بحلاوة طعم الموت في المعركة ، خاصة حين يمتزج بتلاوة الذكر الحكيم فيقول :

ومن يخشَ اظفار المنايا فاننا
لبسنا لهن السابغات من الصبر
وان كريه الموت عذب مذاقه
اذا ما مزجناه بطيب من الذكر (١٣)

يروى أن القائد سعيد بن بهدل سأل أتباعه ، وهو يكر على جيش اعدائه : « كيف طيب انفسكم بالموت ؟ » فأجابوه : « ما أطيبها به ! » (١٤) .

وكان أحد الخوارج يشد شدة كريهة على أعدائه في المعركة ويرتجز :

لا جزع اليوم على قرب الاجل
الموت أحلى عندنا من العسل
نحن بنو الموت اذا الموت نزل (١٥)

هذا الحب الغريب أحال الموت في المعركة الى امنية وهب لها الخوارج انفسهم ، فتجد الخارجي في حياته وفي شعره يستعجل الموت ويشكو إما تأخر ويستبطئه .

هذا قطري يصف احساسه الغريب ببطء الموت ، مصورا جزعه لتأخر منيته ، بالبيت التالي :

الى متى تخطئني الشهاده والموت في اعناقنا قلاده (١٦)

ويصور سائر شعر قطري استبطاءه للموت ، وملله من الانتظار والبقاء ، على الرغم من كثرة ما يقاتل ويطاعن ، يقول :

الى كم تعارينـي السيوف ولا أرى
معاراتها تدعو اليّ حماميا
ولو قرّب الموت القراع لقد أنى
لموتي أن يدنو نطول قراعيا
اغادي جلال المعلمين كأنني
على العسل الماذي اصبح غاديا (١٧)

ويندفع هذا الشاعر الى الموت ، ولكن يندهش ويشكو لان المنية تخطئه ، على الرغم من اقدامه واندفاعه في المعركة • وهو حين يندفع وسط حشد المقاتلين كأنما يسعى لجني العسل لا ليلقى الموت •

وهذه الشكوى المرة نفسها نجدها في شعر حطان الاعسر الذي تتملكه الحيرة لبقائه حيا برغم شدة قتاله فيشكو على النحو التالي :

شريت فلم اقتل ونازلت لم أُصب
كذاك صروف الدهر فينا عجائب (١٨)

وكثرة الخوارج كانت تشكو من الحرمان من الموت • وفي خطبة عبدالله الصغير التي يخاطب فيها جيشه قبل المعركة ما يصور

هذه الشكوى ، يقول : « من قتل منكم قتل شهيدا ومن سلم من القتل فهو المحروم » (١٩) .

ولم يعد الموت ، في حياة الخوارج وفي شعرهم ، موتا كالذي يألف الناس وانما هو شيء آخر وخاصة اذا كان قتلا في المعركة بسيف او رمح . هذه الفكرة مصورة بشكل واضح في شعر قطري . يقول :

ادعو الكماة الى النزال ولا أرى طعن الكريم على القنا بحمام (٢٠)

وهو ، قطعا ، عند الخوارج يفضل الحياة ويشرفها ، لذلك تجد بعض جرحى الخوارج يستعطفون طاعنيهم ليجهزوا عليهم فينالوا بعض الشرف . ومن ذلك ما قاله جريح خارجي لطاعنه :

تعست ابن ذات النوف اجهز على امرئ
يرى الموت ابقى من حياة واكرما
ولا تتركني في الحشاشة إنني
شجاع اذا ما النكس مثلك أحجما (٢١)

وبسبب من هذا الحب والاندفاع الغريبين الى الموت طواعية واختيارا كان الخوارج غالبا يقتلون وهم شباب . ويفخر بذلك الخوارج ويتبجحون ، فيقول شاعرهم يرثي أحد رفاقه :

فتوى صريعا والرماح تنوشه اذ الشراة قصيرة الاعمار (٢٢)

ويحزن الخوارج ويشعرون بالندم والاسى اذا ما تقدمهم أحد رفاقهم الى الشهادة وكأنهم قد اثموا حين سبقهم رفيقهم وهم مازالوا احياء وبعضهم يشعر انه خذله فعلا حين تركه يموت وحيدا . يصور هذا قول حبيب بن خدرة :

اخـوان صدق ارجيهم واخذلهم
اشكو الى الله خذلاني لانصاري (٢٣)

ويلاحظ المرء بوضوح كيف يتحسر الخارجي لأنه ظل وحيدا واخطأته المنية وتقدمه الرفاق حين يقرأ قول أحد شعرائهم :

قدر يخلفنـي ويمضيهم بـه يالهف كيف يفوتني المقدار (٢٤)

فكرة استطالة الحياة ولا جدواها وتفاهتها والشعور بعبثها وكونها عبئا ثقيلا ، ومحاولة النجاة من شراكها والملل من بعض رعاعهـا وطوغيتها قادت الخوارج الى موقف السأم من الحياة بشكل صريح وهى كثيرة التردد في شعر الخوارج الذى يصور الملل من الحيـاة والازدراء لها . فالحياة عندهم عبء ثقيل وباتوزاما من الضحالـة والخداع (٢٥) . وبيت عمران التالى فى الذروة من دقة التعبير عـن السـأم من الحياة :

أفي كل عـام مرضـة ثـم نقهـة
ويسعى ولا يسعى ، متى ذا الى متى ؟ (٢٦)

ومثال ذلك واضح ايضا في شعر الحويرث الراسبي الذي يقول :

اقـول لنفسـي في الخـلاء ألومهـا
هبلت دعينـي قـد مللت من العمـر
ومن عيشـة لاخيـر فيها دنيئـة
مذمة عنـد الكرام ذوي الصبـر
سأركب حوبـاء الامـور لعلنـي
ألاقـى الذى لاقى المحرق ج القصر (٢٧)

وتظل مقطوعة ام حكيم المقاتلة الخارجية نموذجا فريدا في التعبير عن هذا الموقف . أثر عن أم حكيم انها كانت تكر علـى صـفوف

الاعداء وهي تنشد :

أحمل رأسا قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله

الا فتىً يحمل عني ثقله (٢٨)

ولقد قاد هذا الموقف النفسي الى موقف آخر من الموت ، متميز عند بعض الخوارج ، اذ تحول الموت من كونه امنية الى غاية ، تكيف لها اسلوبهم النضالي والتنظيمي ، وتكيف لها شعرهم ، بل تكيفت حياتهم لها جميعا . وفرق جسيم بين أن يقاتل المرء في سبيل هدف ديني أو سياسي ، وهو يستهين بالموت ، ليحقق هدفه ، وبين ان يقاتل ليموت ، ويكشف شعر قطري كيف أصبح الموت غاية عند الخوارج :

سبيل الموت غاية كل حي فدعاية لاهل الارض داعي (٢٩)

وفي احدى مراثيه يصف الاصم الضبي الموت بانه أعلى هدف يمكن ان يحققه خارجي فيقول :

فاصبحت عنهم الدنيا قد انقطعت

وبلغوا الغرض الاقصى من الطلب (٣٠)

ويصف قطري الموت في موضع آخر بانه « الغاية القصوى » ، يقول يحث احد رفاقه على الثورة لنيل الشهادة :

وسر نحونا تلق الجهاد غنيمة

تفدك ابتياعا رابحا غير خاسر

هي الغاية القصوى الرغيب ثوابها

اذا نال في الدنيا الغنى كل تاجر (٣١)

وقطري يصرح بانه انما يقاتل لينال الشهادة هدفه الاول :

اقارع عن دار الخلود ولا أرى بقاء على حال لمن ليس باقيا[٣٢]

ومقالة عبد ربه الصغير وهو يوصي اتباعه قبل بدء المعركة : « فان غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت » تكشف عن مكانة الموت كغاية في حياة الخوارج [٣٣] وقد يقال ان هذه الفكرة وليدة حماسة الخوارج الصادقة . وقد يكون هذا صحيحا . غير ان كثرة ورودها في أدب الخوارج جملة ، ثم كثرة الشواهد على ممارستها عمليا ، وتطبيقها في حياتهم النضالية ، تؤكد مكان الفكرة من حياة الخوارج ومن ثم فانها ليست حماسا فارغا عديم المردود وهكذا أصبح الموت في عرف شعراء الخوارج ، كرامة يتبارون في نيلها . ونجد ذلك واضحا في شعرهم . يقول الجعد بن ضمام الذهلي يرثي مطر بن عمران الخارجي :

ارى مطرا قد باع لله نفسه
بما ظل يعطي للشراة ويوعد
فأصبح قد نال الكرامة كلها
بما كان يسعى في ابتغاها ويجهد [٣٤]

انه لمعقول ان يوجب الخوارج الجهاد ، فيكون فرضا ، او ان يغالوا فيكون (فرض عين) [٣٥] على الرجل والمرأة على حد سواء ، بخلاف سائر الفرق الاسلامية ، ومن ثم فانه قد يكون معقولا ان يخرجوا فيقاتلوا عدوهم ليحققوا هدفا او غاية ، فان لم يكن هناك مفر من الموت فتلك الشهادة . أما ان يكون الموت غاية فهذا أمر الغرابة .

واذا كان سائر العرب يفضلون الموت حين يكون الامر مسألة كرامة وعزة ، ويؤثرون لظى على حياة الذل والاستكانة ، فان الخوارج

ذهبوا كثيرا في هذا الامر ، واندفعوا حتى ليخيل للدارس انهم احبوا الموت من أجل الموت . وانك لتجد في شعر العرب ان شرف الموت يفضل ذل الحياة ، في حين تجد أن شرف الموت في شعر الخوارج مطلق وان شرف الموت من شرف الحياة .

ان النظرة الاسلامية في الجهاد تؤكد ان المرء يقاتل لينتصر على عدوه ، فان قتل ، نال اجر الشهادة ، ومأواه الجنة . والمسلمون كانوا لايلقون بانفسهم الى التهلكة ، ان تكن هناك فرصة حياة [٣٦]، على الرغم من ان اشتراكهم في مثل هذه المعارك كان يعد واجبا دينيا. ولعل ما جاء في القرآن الكريم توضيح لهذا الموقف : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » [٣٧] . ويؤكد ذلك حديث الرسول (ص) ، اذ أثر عنه أنه قال ، قبل لقائه العدو ، يعظ أصحابه : « ايها الناس لاتتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف » . ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم » [٣٨] .

ويهلع الخارجي من فكرة الموت في الفراش أو في السوق حتف انفه . فالموت الحق هو القتل في المعركة . يقول عمران بن حطان :

احاذر أن أموت على فراشي وأرجو الموت تحت ذرى العوالي[٣٩]

ويدعو عمرو بن الحصين ربه ان لا تكون ميتته بين ذويه وانما في ساحة القتال :

يارب أوجبها ولا تتعلقن
نفسي المنون لدى أكف قرائب [٤٠]

ويبدو الموت في المعركة كأنه ركن اساسي من أركان العقيدة

الخارجية ، فالجاحظ يذكر اعتقاد الخوارج ان القتال دين [٤١] ويعتقد بعض الخوارج ان القتل أيسر من الموت ، خطب صالح بن مسرح في اصحابه فقال : « ولا تجزعوا من القتل في الله فان القتل ايسر من الموت ، والموت نازل بكم » [٤٢] .

وخشية الخارجي الموت ، قبل الخروج او الثورة ، واضحة في النصوص الشعرية الخارجية . فبعض الخوارج من القعدة ، وهم قلة ، كانت تقتضيهم طبيعة سرية التنظيم الى السكون الموقت ، أو الهدنة المسلحة ، فكانوا يقضونها في قلق وخوف ، خشية ان تخترمهم المنية قبل الثورة او « الشراء » . ويوضح هذا الموقف قول الشاعر الخارجي .

حذر المنية أن تجيء بداهة لم أقض من تبع الشراة مآربي [٤٣]

فالشاعر يصف خوفه من ان تخترمه المنية وهو لما يحقق رغبته في اللحاق بالشراة . ويمكن لمس هذه الفكرة في رسالة القائد شبيب بن يزيد الشيباني الى امامه صالح بن مسرح ، يستعجله فيها على الخروج ، ويصور فيها خوفه من الموت قبل تحقيق الثورة ، كتب اليه . « لا آمن ان تخترمني المنية ولما اجاهد الظالمين . فيا له غبنا ويا له فضلا متروكا . » [٤٤] ومثل ذلك ماجاء أيضا في خطبة القائد الصفري سعيد بن بهدل في رفاقه ، قال : « لقد خفت أن يأتيني الموت بغتة قبل أن أقضي حق الله عليّ .. » [٤٥] وفي محاورة بين أبي الوازع الراسبي ونافع بن الازرق قال الاول : « ان في غدو الموت ، ورواحه ما يعجلني ، فاخاف معه فوت ما أريد » [٤٦] .

ويؤثر الخارجي أن يموت قعصا بالرمح ، ثم يترك جسده عاريا هكذا في الصحارى الجافة والفجاج السحيقة ، لتأكله الضواري

والسباع ثم تحرق الشمس جمجمته ، فتصير كالحنظل البالي ، ومن ثم تستحيل ترابا يختلط بالارض ، او تذروه الريح . وربما يكون الخوارج بهذا قد حاولوا متابعة الرسول العربي الكريم وتقليده ، فقد ذكر انه هم بدفن عمه حمزة غب معركة أحد لتاكله السباع والضواري والكواسر ، الا انه عدل عن ذلك ، ودفنه ، خوف أن تحزن عمته صفية ، ولكي لا تكون سنة من بعدة (٤٧) .

وصورة الشهيد الخارجي ، كما سنتبين ملامحها في النصوص الشعريه ، هي صورة البطل الطعين ، أو الجريح المتردي ، الذي يسعى الى طاعنه ليقتله ، او البطل الذي ترك بعد موته ، لتمزقه الطير والضواري ، وليختلط عظمه بالتراب . يرسم لنا شاعر خارجي صورة خوارج قتلوا في المعركة على هذا النحو :

مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا تحوم عليهم طير وقوع (٤٨)

وعلى هذا المنوال يقول شاعر آخر يرثي رفيقه :

وفاز ولا قى الله بالخير كله وخذمه بالسيف بالله ضاربه (٤٩)

ونجد هذه الصورة في شعر أبي بلال الذي يشير الى اعتقاد الخوارج ان طريق الجنة هو الموت في المعركة والبقاء في ساحتها بلا دفن :

نرجو الجنان اذا صارت جماجمنا
تحت العجاج كمثل الحنظل البالي (٥٠)

وبيت عمران بن حطان يصور شهيدا خارجيا آخر ترك بلا دفن :

نفسي فداؤك من ملقى بمهملة
لم يصبح اليوم في الاجداث مدفونا (٥١)

وهذه الصورة نفسها ترد في شعر الجعد بن ضمام الذي يقول :

بنفسي قتلى في دقوقاء غوردت

وقد قطعت منها رؤوس وأذرع (٥٢)

ويرسم لنا شاعر آخر هذه الصورة لقتلى خوارج تركوا لتأكل الضباع لحومهم ، يقول :

صرعى فخاوية بيوتهم

وخوامع" لحمانهم تغري (٥٣)

والصورة كثيرة الورود في شعر الخوارج .

وفي الشعر الخارجي صور كثيرة ، يتخيل فيها الشعراء انفسهم قتلى . ويجسم هذا التخيل آمالهم في ذلك ، او ربما يصور نوعا من التعويض ، وبخاصة عند هؤلاء القعدة الذين حرموا فرصة المشاركة في القتال . ومثال ذلك يمكن ان يرى في شعر عمرو بن الحصين الذي شارك في ثورة الاباضية في اخريات العصر الاموي . عمرو هذا يتوهم انه طعن ثم يتضرع ان لا تكون ميتته بين أهله :

يارب أوجبها ولا تتعلقن

نفسي المنون لدى أكف قرائب

والطرماح الشاعر القعدي يتخيل أنه قتل ثم طرح جسده في واد سحيق حيث النسور تنقر عينيه وتتخطف الضاريات لحمه ، يقول :

اذا العرش ان حانت وفاتي فلا تكن

على شرجع يعلى بخضر المطارف

ولكن أحن يومي سعيدا بعصبةٍ

يصابون في فجٍّ" من الارض جائف

فاقتل قعصا ثم يرمى بأعظمي
كضغث الخلا بين الرياح العواصف
ويصبح لحمي بطن طير مقيله
دوين السماء في نسور عواكف (٥٤)

ويتمنى الخارجي لو يكون مقتله على يدي ملحد غادر . وربما اعتقد الخوارج ان ذلك اكثر ثوابا . تقول ام عمران ترثي ابنها وتصف طربه للموت ودعاءه أن يكون قاتله ملحدا غدارا :

يدعوه سرا واعلانا ليرزقه شهادة بيدي ملحادة غدر (٥٥)

لم يقف الخارجي عند حد رغبته في أن يقتل قعصا بالرمح أو طعنا بالسيف وانما تجاوز ذلك الى تصوير لذته في أن يطعن في مقتله أو في مواضع عزيزة من جسمه كالرأس والوجه والنحر وأن يكون مقتله بسيف قاطع أو رمح حاد . نجد مثل ذلك واضحا في شعر كعب ابن عميرة الذي يتضرع فيه الى ربه أن يطعن بسيف حاد القطع :

و يارب هب لي ضربة بمهند حسام اذا لاقى القريبة يهبر (٥٦)

ويصور شعر ابي بلال فخرهم بالقتل وتصديهم للرماح والسيوف بنحورهم ورؤوسهم في مثل قوله :

ولكننا نلقى القنا بنحورنا وبالهام نلقى كل أبيض ذي أثر (٥٧)

ويصور أيضا بيت عمرو بن الحصين تلذذ الخوارج بالصبر على طعن السيوف ، يقول :

في فتية صبروا نفوسهم للمشرفية والقنا السمر (٥٨)

والشاعر نفسه يجسد الفرح الطاغي للخارجي اذا ما طعن في نحره في مثل قوله :

لاشيء يلقاه أثر له
من طعنة في ثغرة النحر
نجلاء منهرة تجيش بما
كانت عواصي جوفه تجري [٥٩]

وقوله أيضا يصف هذه النزعة عند الخوارج مفتخرا :

عرّوا صوارم للجلاد وباشروا حد الظباة بآنف وحواجب [٦٠]

ويصور لنا شاعر خارجي آخر كيف يجعل الخوارج من اجسادهم دريئة للنبال والرماح :

هم نصبوا الاجساد للنبل والقنا فلم يبق منها اليوم الا رميمها [٦١]

وفي القتل على هذه الصورة الشنيعة يرى الخوارج الفوز والخير فيقول شاعرهم يرثي رفيقه :

ففاز ولاقى الله بالخير كله وخذمه بالسيف في الله ضاربه [٦٢]

وفي خطبة ابي حمزة الخارجي صور كثيرة من الفخر بالقتل على هذا النحو [٦٣] .

هذه الصور تشير بوضوح الى ضرب من محاولات ايلام النفس وايذائها ومن ثم التلذذ بذلك . أما الموت بالقتل فانه الذروة من الالم ، وعليه ربما يكون الذروة من اللذة . ويروي صاحب كشف الغمة ان رجلا طعن ابا بلال بالرمح فادخل نفسه في الرمح حتى ضرب قاتله فاضطجعا ميتين [٦٤] . ويصف رجل خارجي أصحابه بأن واحدهم يمشي في الرمح حتى ينكسر فيه [٦٥] .

المسألة ، اذن ، ليست مسألة حب الموت لنيل الاستشهاد فقط على الرغم من كون هذا طبعا واردا وظاهرا في سلوك الخوارج وشعرهم ، اذ لو اقتصر الامر عليه لوجدنا الخارجي يكتفي بطلب

الموت دون التلذذ بألمه . المسألة على هذا هي مسألة تلذذ بالالم وبالموت ثم الصبر عليهما .

وفكرة الصبر على العذاب ملاحظة في التراث الخارجي . شبيب ابن يزيد الشيباني مثلا خاطب اصحابه وهو يكر على جند الحجاج عند مشارف الكوفة في قوله : « يا أهل الاسلام : انما شرينا الله ، ومن شرى الله لم يكبر عليه ما أصابه من الاذى والالم في جنب الله . الصبر الصبر ، شدة كشداتكم في مواقفكم الكريمة »[٦٦] والفكرة نفسها واضحة ايضا في قولة طالب الحق لاتباعه : « ان من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون على الالم في جنب الله . وخطب الزبير بن علي فقال : « ان البلاء للمؤمنين تمحيص . »[٦٧] .

حب الخوارج للموت ، بناء على ما تقدم ، يمكن ان يفسر بالعوامل الرئيسة المتظافرة التالية :

العامل الاول : العروبة : هذا العامل لصيق بالتقاليد البدوية والقيم العربية القتالية Wartike Virtues ويمكن تتبع ذلك في شجاعة الخوارج المثالية الفذة المستمدة من قيم الشجاعة والاقدام العربية ، وفي تبجحهم الدائم في عدم خشيتهم الموت وزهوهم به وفخرهم بالاقبال عليه ودعوتهم الخصوم للنزال وتصويرهم حب المقارعة وفخرهم بالمخاطرة وتغنيهم بلقاء الابطال حتى ليبدو القتال وكأنه رياضة أو ألهية محببة . وشعر الخوارج طافح بمثل هذه الصور ، فقطري ، مثلا يصور خروجه للقتال على أنه نزهة صباحية لجني العسل الابيض من شعاف الجبال :

اغادي جلاد المعلمين كأنني على العسل الماذيّ أصبح غاديا[٦٨]

ولا أدل على حب الخوارج للقتال من أبيات الشاعر حبيب بن خدرة الذي لا يرى هناك متعة أو رياضة محببة كطراد الفرسان في المعركة فيقول :

وشهدت الخيل في ملمومة
لا ترى منهن الا الحدقا
يتساقون باطراف القنا
من نجيع الموت كأسا دهقا
فطراد الخيل قد يؤنقني
ويرد اللهو عني الانقا[٦٩]

وتصور فرح الخوارج بالقتال أجمل تصوير ابيات الشاعر الخارجي التي يصف بها أصحابه وهم في طريقهم الى المعركة :

وهم الاسود لدى العرين بسالة
ومن الخشوع كأنهم أحبار
يمضون قد كسروا الجفون الى الوغى
متبسمين وفيهم استبشار
فكأنما اعداؤهم احبابهم
فرحا اذا خطر القنا الخطار
يردون حومات الجمام وانها
تالله عند نفوسهم لصغار[٧٠]

ونستطيع تتبع أثر عامل « العروبة » في نظرة الخوارج البدوية الى الحياة ، فالحياة ليست جديرة بأن تعاش ما لم تكن حياة عز وسؤدد ، والموت العزيز خير من الحياة الذليلة . وقول قطري في

الذروة من هذا المعنى :

وما للمـرء خـير في حياة اذا ما عُدَّ من سقط المتاع (٧١)

وهذه النظرة البدوية الى الحياة والموت ظاهرة في الشعر الخارجي كلـه . يقول الخيبري مثلا :

وما قتل على شـار بعـار ولكن يقتلون وهم كرام (٧٢)

ومثل هذا قول عروة بن أذينة :

لعمـرك ما بالمـوت عـار علـى الفتى
اذا ما الفتـى لاقـى الحمام كريمـا
ولكنمـا ضـر الحيـاة وعارهـا
أحـال عليـه أن يمـوت ذميما (٧٣)

والفكرة واضحة أيضا في قول قطري :

الا أيهـا البـاغي البـراز تقـربـا
اسـاقك بالمـوت الذعاف المقشّبـا
فما في تسـافي الموت في الحـرب سبة
على شاربيه فاسقني منـه واشربا (٧٤)

الجرأة والاقدام والشجاعة العربية الفذة وطول ألفة القتـال أحالت الموت الى موضوع آخر عند الخوارج حتى أنه لم يعد موتـا بـل شيئا مقدسا رائعـا :

ادعو الكماة الى النزال ولا أرى نحر الكريم على القنا بحمام (٧٥)

على ان شجاعة الخوارج المثالية هذه ممزوجة بايمان واخلاص عنيفين متطرفين لا يعرفان الحدود . والواقع ان سلوك الخـوارج الدموي جملة يمكن من بعض الوجوه أن يكون مظهرا يرد الـى عاملي العروبة والايمان العميق .

والعامل الثاني ديني . هذا العامل يمثل طموحهم للاستشهاد وللخلود في الجنة ونيل اجر السماء ولحاق الشهداء الأبرار في عليين ورؤيه أئمتهم في جنان الخلود . فهم حين يقاتلون ويحثون عن الموت انما يسعون الى الشهادة ويبحثون عنها حتى استحالت عندهم الى غاية واستحال القتال الى عبادة وبدا الموت وكأنه ركن اساسي من اركان العقيدة الخارجية ، لذا ذكر الجاحظ كما مر بنا « اعتقادهم ان القتال دين » (٧٦) .

وتصور قولة القائد الشاعر حيان بن ظبيان قيمة الشهادة عند الخارجي : « فوالله ما احب ان الدنيا بحذافيرها لي وان الله حرمني في مخرجي هذا الشهادة» (٧٧) . ويصور مجمل الشعر الخارجي اندفاع الخوارج نحو الموت طلبا للشهادة وطمعا بلقاء الاحباب في الجنة . يقول الاشل الازرقي يصف سعيه في المعركة :

يريد ثواب الله يوما بطعنة ... غطوس كشدق العنبري بن سالم (٧٨)

والأمثلة في الشعر الخارجي على هذه الفكرة كثيرة . ويذهب الشعراء الخوارج الى أكثر من ذلك فيدعون أن الجنة مقصورة على الشراة لذا يقول الطرماح بن حكيم :

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له
ان لم افز فوزة تنجي من النار
والنار لم ينج من روعاتها احد
الا المنيب بقلب المخلص الشاري (٧٩)

وتتردد في الشعر الخارجي فكرة اقتران التقى بالملل من الحياة ، وتعرض دائما بشكل يكشف العلاقة بين معنى الصلاح والسأم من الحياة وازدرائها ومن ثم التوق الى الموت . هذه الفكرة واضحة

في بيت قطري التالي :

يارب زدني في التقى عباده وفي الحياة بعدها زهاده(٨٠)

ونلمح ، فضلا على ذلك ، علاقة اخرى بين تصور الخوارج للموت ومفهوم التوبة عندهم ،فانه يظهر بجلاء ، من خلال النصوص الخارجية ، أن الموت في المعركة (الشهادة) يمثل بالنسبة للخارجي أعلى أنواع التوبة واسماها . ونستطيع ان نتبع آثار هذه العلاقة في قصيدة قطري التي يخاطب بها سبرة بن العجد ، يسأله فيها ان يتوب ويلحق بالخوارج لينال الشهادة :

فراجع أبا جعد ولا تك مغضيا
على ظلمة أعشت جميع النواظر
وتب توبة تهدي اليك شهادة
فانك ذو ذنب ولست بكافر
وسر نحونا تلق الجهاد غنيمة
تفدك أبتياعا رابحا غير خاسر(٨١)

ومفهوم التوبة في سلوك الخوارج الديني يمكن ان تتبع آثاره في مواقفهم الاولى من أحداث صفين ، وهو يحتاج مزيد درس . وعلى اني سأعرض بعض مظاهره في دراسة العامل الثالث في حب الخوارج للموت .

العامل الثالث عامل نفسي يتجلى في اقبال الخوارج واندفاعهم للتكفير. EXPIATION عن شعورهم بالذنب والاثم . ففي الموت ، على حد تصورهم ، تكفير وفيه غفران . والشاعر الخارجي يحث رفيقه في القتال فيقول :

اكرر على هذي الجموع حوثره فعن قليل ما تنال المغفره (٨٢)

وفي العمل الكبير والعظيم يكفر الخوارج عن ذنوبهم • وفي الذروة من التعبير عن شعورهم بالذنب قول شاعرهم مالك المزموم :

ولو قسم الذنب الذي قد أصبته
على الناس خاف الناس كلهم الردى (٨٣)

ويعزز هذا كثير من الشواهد تشير الى الشعور بالذنب في شعر الخوارج ، يقول شاعر خارجي :

اذا ما التقينا كنت أول فارس
يجود بنفس أثقلتها ذنوبها (٨٤)

فالخوارج يشعرون ويتصورون دائما انهم خذلوا اخوانهم الشهداء في المعركة أو خانوهم حين تركوهم يموتون وحيدين ، وهم يصرحون بشعورهم بخذلان رفاقهم ، يقول شاعرهم ابن خدرة يصور مشاعره هذه :

اخوان صدق ارجيهم واخذلهم
اشكو الى الله خذلاني لانصاري (٨٥)

ويقول عمرو بن الحصين يصور شعوره بالذنب ويبكت نفسه لانه ، فيما يعتقد ، خذل رفاقه :

كم من أولي مقة صحبتهم شروا
فخذلتهم وليس فعل الصاحب (٨٦)

واوضح مثل على رغبة الخوارج في التكفير في سلوكهم السياسي ثورة النخيلة الانتحارية التي اشعلوها تكفيرا وتوبة عما شعروا به من تقصير في معركة النهروان • وغاية ما كان يؤلم الخارجي شعوره بالتقصير في المعركة خاصة اذا فرّ او هم بالفرار •

ومما يرتبط بالعامل النفسي نزوع الخوارج الى الموت هربا

من التـــردد والمماطلـــة ورغبة في وضع حد للمراوغة وحسما للصراع بيـــن الغرائز الطبيعية كحب الحياة وحب النفس من جانب وحـــب الموت من جانب آخر .

شعر عمران ، مثلا ، تصوير رائع للصراع بيـــن حب الموت من اجل العقيدة وحب الحياة من اجل حبيبته جمرة . فالموت انهاء لحالـــة الصراع .

اما المراوغة والتردد والمماطلة فظواهر تمـــثل ثـــورة النفس الانسانية ونزوعها للبقاء . هذه الثورة تجابهها عقيدة صافية وايمـــان متطرف مما يولد صراعا وشعورا بالاثم والذنب اللذيـــن لا يريـــح منهما الا الموت . وبحق يقول عمران :

يوشك من فرّ من منيتـــه في بعض غراته يوافقهـــا (٨٧)

فالموت حسم للصراع والمراوغة والتردد ، وهو ، في مثـــل هذه الحالات ، نوع من الخلاص والامل والوعد لذا فهو راحـــة . وهذا واضح في قول الطرماح مثلا :

اذا فارقوا دنياهـــم فارقـــوا الاذى
وصاروا الى موعود ما في المصاحف (٨٨)

احضر رجل خارجي ليقتل أمام الحجاج فاومأ الحجاج خفية الى السياف الا يقتله فجعل يأتيه من بيـــن يديه ومن خلفه ويروعـــه بالسيف، فلما طال ذلك رشح جبينه فقال له الحجاج : « جزعت مـــن الموت ياعدو الله » . قال : « لا يافاسق ولكن أبطأتَ عليّ بما فيـــه راحـــة . » (٨٩) .

والخوارج كانوا يستشعرون هذه المراوغة وهذا التردد ويضيقون بهما ويعدونهما ضربا من الجبن ومن ثم ضربا من الكفر . وفي أبيات

الرهين المرادي احد نساك الخوارج وشعرائها تصوير للشعور بالمراوغة والضيق بها :

يا نفس قد طال في الدنيا مراوغتي
لا تأمنين لصرف الدهر تنغيصا
اني لبائع ما يفنى لباقية
ان لم يعقني رجاء العيش تربيصا (٩٠)

ويمكن لكثرة الامثلة على هذا الاندفاع الجماعي نحو الموت من قبل الخوارج ان تفسر هذه الظاهرة بأنها ماسوشية Masochism او ضرب من الماسوشية . ويبدو ، لاول وهلة أنه ، يمكن ان يرد هذا الفرض ويدحض بدعوى أن الماسوشية حالة او ظاهرة نفسية وليست مرضا وبائيا يمكن ان يصيب المجموع في حين أن حب الخوارج للموت ظاهرة عامة . في مثل هذه الحال الاخيرة من الممكن ايضا ان يناقش الرد ونفند تحت ذرائع من نظريات السلوك الحشدي في علم الاجتماع. فالدراسات في العلم الاخير تؤكد ان الظاهرة الفردية المرضية يمكن ان تعم في الحشد او الجماعة في ظل ظروف اجتماعية ونفسية معينة وان الجمهور المحتشد في مظاهرة او فريق محارب أو ثائر أو هائج أو خارج على السلطة يمكن ان يقع تحت تأثير معين واحد فيسلك سلوكا عاما متشابها أي أنه من المحتمل ان يصاب الجمهور بالهستيريا او السادية او الماسوشية او تنتابه حالات رعب او فزع جمعي او يسيطر عليه العنف الجمعي (٩١) . على ان هذا التفسير يبقى فرضا او احتمالا قائما بجانب العوامل الاخرى وربما يكون له بعض نصيب في جملة العوامل التي كيفت سلوك الخوارج .

ويلاحظ أيضا ان فكرة الموت في حياة الخوارج وشعرهم كانت

تمثل موقفهم النفسي من « الصبر » الذي يعني المعاناة والمقاساة او الاصطبار في المحنة والعذاب .

ويبدو من هنا ان الخارجي كان في صراع دائم مع الزمن وكان الموت وسيلته للانتصار عليه والتخلص من العذاب والصراع . ومن يقرأ شعر الخوارج يدرك انهم كانوا يحاولون تقصير المسافة بين عيشة الموت Living Death التي كانوا يعانونها والجنة باندفاعهم نحو الموت (٩٣) . والصبر ، بالنسبة الى الاتقياء من عامة الجمهور ، يعني التقيد بحدود ما يفرض العقل والشرع وترك ما نهيا عنه . وهكذا يكون الصبر وسيلة للنصر على الزمن ولتحقيق هدف من اهدافهم الدينية .

ونظرية الصوفية في الصبر كانت تقوم على فكرة أن الصبر مطلوب (ضرورة الصبر) قبل الموت بالاتحاد بذات الله او الفناء فيه (٩٣) . وربما بسبب من موقفهم حيال الصبر كان الخوارج يتلذذون بألم الموت ويجدونه مريحا . يقول عنهم ابن ابي الحديد على كراهيته للخوارج ان « الخوارج اكثرهم لم يكن يبالي بالقتل وشيمتهم استعذاب الموت » (٩٤) .

ومن الطبيعي ان تتوقع ان هناك بعض العناصر الخارجية الممتازة لم تقو على مواصلة المواجهة المستمرة لحقيقة الموت : تلك المواجهة التي فرضتها ظروف الحياة الخارجية القاسية ، فسقطت في حومة الصراع الحاد بين نوازع البقاء وعوامل حب الموت ، او نكصت أو انخذلت فتخلت . وتلك ظاهرة نفسية محتملة في مثل موقف الخوارج .

ولعل أظهر جوانب هذه الظاهرة وأهمها هو الصراع بين

نوازع البقاء وعوامل حب الموت ، لان تأثيره في الادب عميق وصورته فيه واضحة ولان ما ترك من شجى وأسى في القصيد الخارجي اكسبا هذا الشعر طعمه الانساني الحار ، ولانه أيضا ترك في فكر الخوارج جملة تيارا بعيد الغور .

وفي شعر عمران بن حطان تتجلى صور هذا الصراع . فبسبب من حب عمران لزوجه « جمرة » تعلق بالحياة وأحبها وخاف الموت لكنه لم يتخل عن العقيدة الخارجية التي تهوّن من شأن الحياة ، وتستصغرها ، وتلزم حب الموت . وهكذا تذبذبت روح عمران بين النقيضين : الموت والحياة ، فوقع في دوامة الصراع العنيف .

صور عمران حبه للحياة من اجل الفاتنة جمرة ، وهو في غمرة النضال في سبيل المبدأ ، قائدا ومنظرا وفقيها ، من خلال حب الناس لها ، ولا سيما اولئك الجوعى والعراة والاشقياء ، الذين هم أجدر الناس بالنفور عنها والازدراء لها ، فعبر بهذا عن تعلقه الشديد بالحياة بشكل غير مباشر :

أرى اشقياء الناس لا يسأمونها
على أنهم فيها عراة وجوع
اراها وان كانت تحب فانها
سحابة صيف عن قليل تقشع (٩٥)

وكان عمران يفرق من الموت ويخشاه أشد خشية لان في الموت فراق جمرة العزيزة لكنه أسقط عواطفه على جمرة وكأن جمرة هي التي كانت تفرق من الموت لا عمران :

ان كنت كارهة للموت فارتحلي
ثم اطلبي أهل أرض لا يموتونا

فلست واجـدة ارضـا بهـا بشـــر
الا يروحون أفواجـــا ويغدونـــا
يا جمـر قد مـات مـرداس واخوته
وقبـل موتهـــم مـات النبيـــونـا
يا جسـر لو سامت نفـــس مطهـرة
من حادث لـم يزل يا جمر يعيبنـــا
اذن لدامـت بمـرداس ســـلامته
ومـا نعـاه بذات الغصـن ناعونا (٩٦)

ومع ان فكرة الموت تضفي على القصيد الخارجي ، بكـــل موضوعاته ، نغما شجيا وتوشحه بظلال كئيبة الا انها ، مع كل ذلك ، تمده بطعم متميز من الايمان والاخلاص العميقين والعقيدة الصادقة ولم تخضعه الى مبررات اليأس ودواعي التردد • ثم ان الموت ، فضـلا على ذلك ، مثّل بالنسبة للخوارج نوعا من الامل والوعد والخلاص • وهكذا استطاع القصيد الخارجي ان يضطلع ، من منطلق الالتزام ، بمهمة الدعوة لمبادئهم وعقائدهم والحض على الفداء في سبيلها •

الهوامش

(١) الشراء ، المصطلح الخارجي ، يعني الثورة والخروج احتجاجا على الجور ، وتحقيقا للهدف • ولهذا الاصطلاح علاقة اشتقاقية باسمهم (الشراة) ، اذ كانوا يسمون انفسهم بهذا الاسم • و« الشراة » مشتق ، على زعمهم ، من أنهم شروا انفسهم في سبيل الله آخذا من الآية الكريمة : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله »• (قرآن ٢/٢٠٧) • والشراء ، في المصطلح الخاص بفقه بعض فرقهم القاعدة والاباضية بخاصة ، يعني المرحلة الرابعة من مراحل الدين الاباضي أو « المسلك » الرابع حيث تتحتم الثورة على السلطان الجائر • والمسالك الاربعة في الديـــن

الاباضي هي : الكتمان والظهور والدفاع والشراء . الجيطالي ، اسماعيل ابن موسى ، قناطر الخيرات تحقيق عمروخليفه النامي ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٩١ .

(٢) المبرد ، محمد بن يزيد ، الكامل في اللغة والأدب ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٣/٩١٦ - ٩١٧ ، ابن ابي الحديد ، عزالدين عبدالحميد ، شرح نهج البلاغه ، القاهرة ١٩٥٩ - ٦٤ ، ص ٢/٢٧٢ .

(٣) المبرد ص ٩٥٥ ، ابن أبي الحديد ٥/٩٦ ، ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ١/٢٩١ . القرآن ٢٠/٨٤.

(٤) الطبري ، أبو جعفر بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، ليدن ١٨٧٩-١٩١١ ، ص ١/٣٣٦١ .

(٥) المبرد ص ٩٧٩ ، ابن عبد ربه ص ١/٢٥٢ .

(٦) راجع المبرد ص ١١٥٧ ، ابن عبد ربه ص ١/٢٦٠ حول الأمثلة .

(٧) ابن منقذ ، اسامة ، لباب الآداب ، القاهرة ١٩٣٥ ، ص ٢٢٥ . والماذي العسل الأبيض .

(٨) المبرد ص ١١٦٢ ، ابن ابي الحديد ص ٤/٢١١ .

(٩) ابن ابي الحديد ص ٥/٩٩ .

(١٠) المبرد ص ٩٥٤-٩٥٥ ، ابن ابي الحديد ص ٣/٢٨٨ ، ٤/٢٠٧

(١١) ابو الفرج ، علي بن الحسين الاصبهاني ، كتاب الأغاني ، بولاق ١٢٨٤-٨٥ هـ ، ص ٢٠/١١٢ ، ابن أبي الحديد ص٥/١٢٧ .

(١٢) ياقوت من عبدالله الحموي ، معجم البلدان ، القاهرة ١٩٠٦ ، (ميجاس) .

(١٣) المبرد ص ٩١٥ ، ابن ابي الحديد ص ٣/٢٧٤ .

(١٤) البلاذري ، احمد بن يحيى ، انساب الاشراف ، مخطوط ، ص ٢/٢٣٢ .

(١٥) البغدادي ، عبدالقادر بن عمر ، خزانة الأدب ، بولاق ١٢٩٩هـ، ص ٤/٢٥٨ ، العيني ، محمد بن أحمد ، شرح شواهد الألفية ، بولاق ١٢٩٩ هـ ص ٣/١٥٠ .

(١٦) الدينوري ، أحمد بن داود ، الأخبار الطوال ، ليدن ١٨٨٨ ، ص ٢٧٧ .

(١٧) ابن منقذ ، ص ٢٢٥ ، المرتضى ، الشريف علي بن الحسين ، الأمالي ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١-٦٣٨ ، الخالديان ، محمد وسعيد ، الأشباه والنظائر ، القاهرة ١٩٥٨ - ٦٥ ، ص ١١٧ .

(١٨) البلاذري ، مخطوط ، ص ٢/٧٥ ٠
(١٦) ابن ابي الحديد ، ص ٢/١٨٨ ٠
(٢٠) البغدادي ، ص ٤/٢٥٨ ، العيني ، ص ٣/١٥٠ ٠
(٢١) المعري ، ابو العلاء احمد بن عبدالله ، الفصـــول والغايات ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١/٤١٤ ، ابن منقذ ، ص ١٩٤ ٠

(٢٢) المبرد ، ص ١١٧٢ ، ابن ابي الحديد ، ص ٥/٥١ ، الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١/٤٠٧ ٠
(١١) البلادري ، مخطوط ، ص ١/٤٦٤ ، المرتضى ، ص ١/٦٢٦ ٠
(١٤) ابن ابي الحديد ، ص ٢/٢٨٨ ٠ حول امثله اخرى من هـــذا النوع راجع الاصفهاني ، الاغاني ، ص ٦/٧ ، الشريشي ، احمد بن عبـد المؤمن ، شرح المقامات الحريريه ، القاهرة ١٢٨٤ هـ ص ١/١٠٢ ، مجموعه المعاني ، مطبعة الجوائب ١٣٠١ هـ ، ص ٣٩ ٠

AL - Salihi, Azmi , The Society , Beliefs and Political Theories of the Kharijites as sevealed in Their Poety of The Umayyad Era (Thesis), London , 1975, P. 304 ; Salem, Elie, Political theory and Institutions of The Khaworij , Baltimore, 1956, P. 95.

(٢٦) ابن عساكر ، علي بن حسن ، تهذيب التاريخ الكبير ، دمشق ١٣٢٩ هـ ، ص ١/٤٣٣ ، د ٠ احسان عباس ، شعر الخوارج ، بيروت ١٩٦٣ ، ص ١٩ ٠

(٢٧) البلاذري ، مخطوط ، ص ٢٨٧ / ، راجع قصة المحرق في المبرد ص ١٤٦ ٠

(٢٨) الشريشي ، ص ١/١٠٢ ، الطبري ، ص ٦/٧ ، مجموعـــة المعاني ، ص ٣٩ ، البلاذري ، مخطوط ، ص ٢/٣٨١ ، العيون والحدائق ، مؤلف مجهول ، ليدن ١٨٥٣ ، ص ٣/٧٤ ٠

(٢٩) ابن ابي الحديد ، ص ٣/٢٧٧ ، المرتضى ، صـ ١/٦٣٦ ، العيني ، ص ٣/٥٢ ، ابن منقذ ، ص ٢٢٥ ، الخالديان ، ص ١/١١٧ ، ابن خلكان ، أحمد بن محمد ، وفيات الاعيان ، بيروت ١٩٦٨ ـ ٧٢ ، ص ٤/٩٤ ٠

(٣٠) ياقوت ، ص ٣/١٧١ ٠
(٣١) المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب ، باريس ١٨٦١ـ ٧٧ ، ص ٥/٣١٥ ؛ ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، مخطوط اسطنبول (رقم ٢٩٥٦) ، ورقة ٢/٢٨٠ آ ٠

(٣٢) ابن منقذ ، ص ٢٢٥ ، المرتضى ، ص ٦٣٨/١ ، الخالديان ، ص ١١٧ .

(٣٣) المبرد ، ص ١١٦٢ ، ابن ابي الحديد ، ص ٢١١/٤ .

(٣٤) البلاذري ، مخطوط ، ص ١٠٣/٢ .

(٣٥) الفرض نوعان : الأول فرض عين وهو مايطالب بأدائة كل المكلفين واذا فعله احدهم لم يسقط الطلب عن الآخرين كالصلاة . والثاني فرض كفاية وهو مايطالب يطالب بأدائه مجموع المكلفين واذا فعله واحد منهم سقط الطلب عن الباقين كصلاة الجنازة والجهاد . انظر علي حسب الله ، اصول التشريع الأسلامي ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٣٣٦ ، الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١٤٤-٤٥ .

(٣٦) البغدادي ، عبدالقادر بن طاهر ، الفرق بين الفرق ، بلا تاريخ ، ص ٣٤١ ، وانظر المصدر نفسه حول موقف اهل السنة من الأجل .

(٣٧) قرآن ، ٢١٦/٢ .

(٣٨) النووي ، يحيى بن شرف ، رياض الصالحين ، القاهرة ١٩٥٥، ص ٤٨٦ ، ٤٩٢ .

(٣٩) البلاذري ، انساب الاشراف ، القدس ١٩٧١ ، ص٢/جـ ٨٩/٤، المبرد ٨٩٦ ، البغدادي ، ص ٤٣٩/٢ .

(٤٠) الاصفهاني ، الاغاني ، ص ١٠٣/٢٠ .

(٤١) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، رسائل الجاحظ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٥١/١ .

(٤٢) الطبري ، ص ٨٨٣/٢ .

(٤٣) الاصفهاني ، الاغاني ، ص ١٠٢/٢٠ .

(٤٤) الطبري ، ص ٨٨٤/٢-٨٥ ، ابن الأثير ، عزالدن ، الكامل في التاريخ ، ليدن ١٨٥١ - ٧٦ ، ص ٣٩٣/٤ .

(٤٥) البلاذري ، مخطوط ، ص ٢٣٢/٢ .

(٤٦) البلالري ، ص ٢/جـ ٩٤/٤ .

(٤٧) ابن هشام ، أبو محمد عبدالملك ، السيرة النبوة ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٨٦/٢ .

(٤٨) المبرد ، ص ٨٩١ .

(٤٩) الطبري ، ص ١٣٧٧/٢ ، البلاذذري ، مخطوط ، ص ١٦٨/٢ .

(٥٠) الازكوي ، سرحان بن سعيد ، كشف الغمة الجامع لأخبار الامة ، مخطوط المتحفة البريطانية رقم Isolated state ورقة ٢٦٨ آ ، الجيطالي ، ص ١٤٤/٢ .

(٥١) ابن عساكر ، علي بن حسن ، تاريخ دمشق ، مخطوط الأوقاف رقم (٣٣) مصور عن نسخة معهد احياء المخطوطات في القاهرة ، ورقة ٣٤٠/٨ أ ٠

(٥٢) ياقوت ، ص ٦٦/٤ مادة (داقوقا) ٠

(٥٣) الاصفهاني ، الاغاني ، ص ١١٣/٢٠ ٠

(٥٤) الطرماح بن حكيم الطائي ، الديوان ، تحقيق كرنكو ، لندن ١٩٢٧ ، ص ١٥٥ـ٥٦ ٠

(٥٥) البلاذري ، ص ٢/جـ ٤١/٤ ، المبرد ، ص ١٠٤٤ ، ابن ابي الحديد ، ص ١٠٣/٥ ٠

(٥٦) البياسي ، يوسف بن محمد ، الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ، مخطوط دار الكتب رقم وتاريخ ٣٩٩ ، ورقة ٧٩ آ ٠

(٥٧) البلاذري ، ص ٢/جـ ٤١/٤ ، المبرد ، ص ١٠٤٤ ، ابن ابي الحديد ، ص ١٠٣/٥ ٠

(٥٩) المصدر السابق ٠

(٦٠) المصدر السابق ، ص ١٠٣/٢٠ وفي القصيدة التي ورد فيها البيت صور اخرى من هذا النحو ٠

(٦١) ابن عبد ربه ، ص ٣٠٣/٣ ٠

(٦٢) الطبري ، ١٣٧٧/٢ ،

(٦٤) الازكوي ، مخطوط ، ورقة ٢٦٨ ب ٠

(٦٥) التوحيدى ، أبو حيان ، البصائر والذخائر ، دمشق ١٩٦٤ ، ص ١٨٤/١ ٠

(٦٦) الطبري ، ٩٦٠/٢ ٠

(٦٧) المبرد ، ص ١٠٨١ ٠

(٦٨) ابن منقذ ، ص ٢٢٥ ، المرتضى ، ص ٦٣٨/١ ، الخالديان ، ص ١١٧ ٠

(٦٩) الطبري ، ص ١٠٠٢/٢ ٠ ويؤنقني يعجبني ٠

(٧٠) ابن ابي الحديد ، ٢٨٨/٣ ٠

(٧١) المرتضى ، ص ٦٣٦/١ ، ابن ابي الحديد ، ص ٢٧٧/٣ ، ابن عبد ربه ، ص ١٠٥/١ ٠

(٧٢) الطبرى ، ص ١٩٠٧/٢ ٠

(٧٣) البياسي ، مخطوط ، ورقة ١٨٣ ٠

(٧٤) المعري ، ص ٤١٠/١ ، التبريزي ، يحيى بن علي ، شرح ديوان

الحماسة ، القاهرة ١٢٩٦ هـ ، ص ١١١/٢ ، المرزوقي ، ابو علي ، شرح ديوان الحماسة ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٦٨٢/٢ ٠

(٧٥) البغدادي ، ص ٢٥٨/٤ ، العيني ، ص ١٥٠/٣ ٠
(٧٦) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ص ٥١/١ ٠
(٧٧) البياسي ، مخطوط ، ورقة ٦ ب آ ٠

(٧٨) البياسي ، مخطوط ، ورقة ٨١/٢ ب ، المبرد ص ١١٦٩ ، الآمدي ، الحسن بن بشر ، المؤتلف والمختلف ، القاهرة ١٣٥٤ هـ ، ص ١٠٦ ، ابن ابي الحديد ، ص ٢٢٣/٤ ٠

(٧٩) الطرماح ، ديوان ٠

(٨٠) الدينوري ، أحمد بن داود ، الأخبار الطوال ، ليدن ١٨٨٨ ، ص ٢٧٧ ٠ راجع ايضا خطبة صالح بن مسرح في الطبري ، ص ٨٨٢/٢ ٠

(٨١) ابن أعثم ، أحمد بن عثمان الكوفي ، كتاب الفتوح ، مخطوط اسطنبول ، (رقم ٢٩٥٦) مكتبة أحمد الثالث ، ورقة ٨٠/٢آ ، المسعودي ، ص ٣١٥/٥ ـ١٦ ٠ ٠

(٨٢) المبرد ، ص ٩٧٩ ، ابن ابي الحديد ، ص ٩٩/٥ ، ابن عبد ربه ، ص ٢١٧/١ ، البياسي ، مخطوط ، ورقة ٣٥ آ ٠

(٨٣) الاصفهاني ، الاغاني ، ص ١٥٦/١٦ ٠
(٨٤) مجموعة المعاني ، ص ٣٨ ، ابن منقذ ، ص ٢٢٣ ٠
(٨٥) البلاذري ، مخطوط ، ص ٣٦٤/٢ ، المرتضى ، ص ٣٦٩/١ ٠
(٨٦) الأصفهاني ، الاغاني ، ص ١٠٣/٢٠ ٠

(٨٧) ابن عساكر ، تهذيب ، ص ١٢٥/٣ ، المبرد ، ص ٦٦ ، العيني ، ص ٢/ ١٨٨ ، ابن منظور ، محمد بن مكرم ، بيروت ١٩٥٥ ، مادة (كأس) ٠

(٨٨) الطرماح ، ديوان ، ص ١٥٥ ـ ٥٦ ، ابن ابي الحديد ، ص ٣٠٠/٣ ٠

(٨٩) ابن خلكان ، ص ٢٣٢/٢ ٠
(٩٠) المبرد ، ص ١٠٠٦ ـ ٧ ، ابن ابي الحديد ، ص ٩٩/٥ . البلاذري ، ص ٢/جـ ٨٨/٤ ٠

(٩١) تذهب دراسات علم الاجتماع في موضوع ظاهرة الحشود وتأثيرها في سلوك أفراد الحشد الى أن الأفراد في الحشد يسلكون ، تحت تأثيرات معينة ، سلوكا متشابها أو واحدا ٠ وتتفاوت هذه الدراسات في تحديد الدوافع المؤثرة على سلوك الحشود والأفراد ، فبعضها يؤكد على

دور الحشد وبعضها الاخر يؤكد على دور الفرد نفسه والبعض الثالث يؤكد على طبيعه عوامل خارجيه تعود الى طبيعة المجتمع وطبيعة أعضاء الحشد ، وأبرز الدراسات في الاتجاه الاول هي دراسات غوستاف لويون في كتابه (نفسية الحشود) الذى ألفه عام ١٩٨٥ . أكدت نظرية لويون ذى النزعه المحافظة أن مجرد انضمام الفرد الى حشد ما يعطل قدراته موقتا فيصبح ريشة في مهب ريح الحشد . فانضمام الافراد الى الحشد يؤدي الى خضوعهم الى حاله عقلية معينة وهي (الروح الجمعية) التي تتألف من الرغبات اللاشعورية المشتركة بين جميع أفراد الجنس الا أنها تختلف عن روح أو عقلية الافراد المكونين للحشد . ويتفق دين ماترن في مؤلفه (سلوك الحشود) (عام ١٩٢٠) مع لويون في أن الحشد هو موقف يؤدي الى انطلاق الرغبات اللاشعورية لدى أعضائه وذلك لاختفاء الجانب الشعوري لديهم ، الا أنه يختلف معه حول ظهور (العقل الجمعي) . كما أنه افاد من سيكولوجية فرويد في تطبيقها على رجل الحشد ويعتبر مارتن الحشد حالة ذهنية معينة قد تؤثر في الجماعة بسبب توقف الافكار الضابطة المشتركة عن أداء وظيفتها في البيئة الاجتماعية المباشرة مما يؤدي الى تحرر وانطلاق البواعث المكبوتة .

أما أهم الدراسات التي تؤكد على دور الفرد فهي دراسة اولبورت عام ١٩٢٤ في مؤلفه (علم النفس الاجتماعي) . يرى اولبرت أن سلوك الحشد صورة مضخمة لسلوك الفرد . ان تجمهر الأفراد الذين يستجيبون لفكرة واحدة يخلق شعورا لديهم بانتشار تلك الفكرة لدى الجميع . فالحشد في نظر اولبرت مجموعة أفراد يحاولون الوصول الى تحقيق أهداف مشتركة حالت الظروف الاعتيادية دون تحقيقها فاحبطت دوافعهم الاساسية مما أدى بهم الى السلوك الاعتدائي بصورة شعورية أو لاشعورية. وهذا السلوك الاعتدائي لايصدر عن (عقل جمعي) يسيطر على الأفراد وانما هو ناتج عن اندفاع الأفراد وحماسهم لاشباع رغباتهم بصورة جمعية .

وأهم الدراسات التي تؤكد على طبيعة العوامل الخارجية هي دراسات ميلر ودولارد التي نشراها عام ١٩٤١ في كتابهما (التعلم الاجتماعي والتقليد) وأرجعا فيها الأسباب المؤثرة في سلوك الأفراد والحشد الى عوامل اقتصادية واجتماعية تحركها اسباب آنية عرضية . ان اجتماع هذه العوامل مع ظهور الزعيم يؤدي الى انطلاق العنف وبروز (التضامن الجمعي) وتنسيق وتنظيم هذه العنف بصورة تتلاءم مع القوالب الحضارية للمجتمع ومن ثم الى توزيع الادوار على الأفراد كل حسب شخصيته وسماته وبروز عنصر المبالغة في حالات الرعب أو العنف الجمعي نسبة للعامل المسبب لذلك الرعب او العنف مع ظهور مركب « سادو-ماسوشي» أي حب الايذاء للغير وللنفس ، فهناك لذة مضمرة يجدها أفراد الحشد في التخريب أو

ايذاء النفس ٠

انظر « دراسة في السلوك الحشدى » للدكتورة فوزية العطية ٠ مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد التاسع عشر ١٩٧٦ ، ص ٣١٣-٣٣٢ ، مجموعة من العلماء الامريكان ، ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية : ترجمة مجموعة من الدكاترة بأشراف يوسف مراد ، القاهرة ١٩٦٢ ، المجلد، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، مصطفى سويف ، مقدمة لعلم النفس الاجتماعي ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٦٠ ٠

(٩٢) احسان عباس ، المقدمة راجع رأيه فيها ٠

(٩٣) المصدر السابق ، ص ٧ ٠

(٩٤) ابن ابي الحديد ، ص ٩٩/٥ ، لأمثلة من هذا النوع راجع ابن خلكان ، ص ٣٨/٢ ، المبرد ، ص ٩٥٤ ٠

(٩٥) البغدادي ، خزانة الادب ،ص ٤٤٠/٢ ، ابن عساكر ، مخطوط (ترجمة عمران) ، ورقة ٣٣٩/٨ ب ٠

(٩٦) ابن عساكر ، مخطوط ، ورقة ٣٤٠/٨ أ ٠